

### الحالة العلمية في عصر القاضي محمد بن يحيى

- اهتمام كبار الدولة بالحياة العلمية .
- طائفة من العلماء .
- من مؤلفات العصر .
- من علوم العصر .
- الموسوعية في العلم .



## الحالة العلمية في عصر القاضي محمد بن يحيى

اتضح من الحديث عن الحالة السياسية في عصر القاضي محمد بن يحيى الملقى مدى الاضطراب السياسى والصراع بين المسلمين ونصارى الأندلس ، ورغم هذا فإن الحياة العلمية كان لها كيانها ومكاتها في بلاد الأندلس وبخاصة مدينة « مالقة » و « غرناطة » هاتان المدينتان اللتان عاش فيهما القاضي محمد بن يحيى ، وتولى منصب القضاء فيهما .

### اهتمام كبار الدولة بالحياة العلمية:

كان الاهتمام بالناحية العلمية أمراً ملموساً من جانب كبار ورجال الدولة كالسلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ت ٧٢٢ هـ فقد كان « محباً للعمل وأهله » (١) ، آخذاً بخطط وأفر من علم الفلك ، وله باع في خطأ التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة ، وصناعة الآلات العجيبة . (٢)

وقد اهتم أيضاً السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ت ٧٥٥ هـ ببناء المدارس العلمية لخدمة الحياة العلمية والقيام على رعاية العلم وأهله ، فقد بُنيت في عهده المدرسة العجيبة التي يعدها الناس بكر المدارس . (٣)

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣/ ٣٣٤ .

(٢) الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب ص ٥٧ .

(٣) الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب ص ٩٦ .

ومن الاهتمام بالناحية العلمية أيضاً أن السلطان محمد بن يوسف بن نصر ت ٧٠١ هـ كان يُؤثر العلماء على شتى مناحى تخصصاتهم من الأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء . (١)

وكان السلطان محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ت ٧١٠ هـ يصغى للشعر ويثيب عليه الشعراء ، وكان يعرف مقادير العلماء . (٢) وكذلك السلطان أبو الحجاج يوسف الأول بن أبي الوليد إسماعيل ، الذى كان من أبرع ملوك الدولة النصرية ، كان بعيد الهمة على الخلال ، شاعراً عالماً ، وحامياً للعلوم والفنون . (٣)

كما كان العلماء يحتلون مكانة عظيمة يحظون بها عند أمير المسلمين بالأندلس ، فقد كان الفقيه الجليل أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ت ٦٩٩ هـ يحتل حظوة لطيفة عند أمير المسلمين . (٤)

وكذلك اهتم أصحاب الأموال المترفين بالعلم والعلماء ، فبنى محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى ت ٧٥٤ هـ ، مدرسة عظيمة غرب المسجد الأعظم ووقف عليها الرياع ، وابتنى غيرها من المساجد . (٥)

### طائفة من العلماء :

كان القرن الثامن الذى عاش فى النصف الأول منه القاضى محمد بن يحيى فى الأندلس وخاصة غرناطة بالنسبة لدولة التفكير والأدب عصر

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١/٥٥٧ .

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١/٥٤٥ .

(٣) نهاية الأندلس للدكتور محمد عبدالله عنان ص ١٢٥ .

(٤) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١ / ١٦٤ .

(٥) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣/١٩١ .

النضج والازدهار ، وفيه ظهرت طائفة من أكابر المفكرين والشعراء الذين أعادوا روعة الأدب الأندلسي فى أعظم صورته . (١)

إن الاهتمام بالعلم فى هذا العصر كان أمراً ملموساً ، وكان انتشار العلوم بأنواعها يحتل مكانة مرموقة فى بلاد الأندلس ، فكان العصر عصر رواج للعلوم الدينية واللغوية والعقلية ، والحركة العلمية نشطة ، وفى ظل هذا النشاط ترعرع العلم ووجد طائفة من جهابذة العلماء امتلأت بأخبارهم ومآثرهم المصادر والمراجع الأندلسية .

فى اللغة والشريعة والأدب مثل : أبى عبد الله الفخار ، شيخ النحلة فى عصره ، وأبى القاسم محمد بن على الحسينى ، والمحدث شمس الدين بن جابر الوادى آشى . وأبى عبد الله بن مرزوق ، والقاضى أبى البركات بن الحاج البلغىقى .

وكذلك فى الأدب والشعر أبى عبد الله بن الحكيم اللخمي ، وأبى الحسن بن الجياب . وفى الطب والفلسفة حكيم العصر الشيخ أبو زكريا يحيى بن هذيل . وفى التاريخ لسان الدين بن الخطيب وغيرهم كثير ، ومن بين هؤلاء العلماء القاضى محمد بن يحيى المالقى صاحب هذه الدراسة ، الذى استفاد من العلماء وتكونت شخصيته العلمية ، التى جعلته يحتل مكانة رفيعة بين أقرانه من العلماء ، وأصبح عارفاً بالأحكام والقراءات والحديث والأنساب والعربية واللغة والعروض والفرائض والحساب . (٢) لقد ازدهرت العلوم الشرعية واللغوية والعقلية فى عصر القاضى محمد بن يحيى المالقى ببلاد الأندلس ، مما كان لها أكبر الأثر

(١) انظر مقدمة محقق الإحاطة فى أخبار غرناطة للدكتور محمد عبد الله عنان ١ / ١٧ .

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢ / ١٧٦ .

فى حياه العلميه، وقد شارك فيها وأسهم بنصيب كبير بمجالسه العلميه  
فى علوم مختلفه، وبتأليفه كتاب مقتل الشهيد عثمان .

### من مؤلفات العصر :

لقد أضاف علماء القرن الثامن الهجرى إلى المكتبة الدينية واللغوية  
والعلمية كمأ هائلاً من الكتب القيمة التى تخدم الإنسانية فى شتى  
مناحى الحياة وإذا أردنا حصر هذه المؤلفات فإن الوقت لا يتسع لذلك،  
ولكننا نكتفى بذكر بعض منها كدليل على مدى ثراء ذلك العصر  
بالمصنفات، مثل : كتاب « الحلية فى ذكر البسمله والقصليه » وكتاب  
« وصف المبانى فى حروف المعانى » وكلاهما لأحمد بن عبد النور بن  
أحمد بن راشد من أهل مالقة ت ٧٠٢ هـ . (١) وكتاب « مطلع الأنوار  
الإلهية » وكتاب « بغية المستفيد » وكتاب « شرح القرشى فى العرائض »  
وهو لا نظير له ، وذلك لابن صفوان أحمد بن إبراهيم بن أحمد من  
أهل مالقة ت ٧٦٣ هـ . (٢) وكتاب « الإفصاح فىمن عُرف بالأندلس  
بالصلاح » وكتاب « حركة الدخولية فى المسألة المالقيه » و « تاريخ المرية »  
وكتاب « المؤمن على أبناء الزمن » وكتاب « شبهات إصلاح العلوم »  
وكلها لمحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المكنى بأبى عيشون . (٣)  
وكتاب « الفرر فى تكميل الطُّرر » طرر أبى إبراهيم الأعرج ، ثم « الدرر  
فى اختصار الطرر » المذكور، وكلاهما لمحمد بن عبد الرحمن بن سعد  
التميمى التَّسكىلى عاش فى القرن الثامن الهجرى . (٤) وكتاب « اللمع

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١/ ١٩٨ .

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١ / ٢٢٣ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ٣/ ١٣٢ .

الجدلية فى كىففة التحدث فى علم العربفة « وكتاب «بغفة المباحث فى معرفة مقدمات الموارث « لعثمان بن فحى بن محمد القفسى ت ٧٣٥ هـ . (١) وكتاب « التجر الربفح فى شرح الجامع الصفح « وكتاب « بهجة الأنوار» وكتاب «الأسرار» وكتاب « إرشاد السائل لنهج الوسائل» وكتاب « بغفة السالك فى أشرف المسالك» وكتاب « أشعة الأنوار فى الكشف عن ثمرات الأذكار» وكتاب « غرائب النُّجب فى رغائب الشُّعب» وكتاب « نظم سلك الجواهر فى ففد معارف الصدور والأكابر» كلها لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى ت ٧٥٤ هـ . (٢) وكتاب « شرح التفسفر فى القراءات» لعبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السّداد الأموى الملقى ت ٧٠٥ هـ . (٣) وكتاب « الروض المنظور فى أوصاف بنى منظور » ، وكتاب « نفحات السلوك وعبون التبر المسبوك فى أشعار الخلفاء والوزراء والملوك » ، وكتاب «السفم الواكفة والظلال الوارفة فى الرد على ما تضمّنه المظنون به من اعتقادات الفلاسفة» ، وكتاب «البرهان والدلل فى خواص سور التنزفل» . كلها للقاضى أبى بكر محمد بن عبفد الله بن منظور القفسى ت ٧٥٠ هـ (٤) . ولقد أئرى المكتبة الأندلسفة عالم من علماء الأندلس خلال القرن الثامن الهجرى وهو لسان الدفن بن الخطفب فف صنف مجموعة الكتب التاريخية التى لا غنى عنها لآى باحث فى تاريخ الأندلس .

ومن بفن هذه المؤلفات القفمة كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة»

(١) المصدر السابق ٨٧/٤ .

(٢) المصدر السابق ١٩٣/٣ .

(٣) المصدر السابق ٣/٥٥٤ .

(٤) تاريخ قضاة الأندلسى للنباهى ص ١٩٢ .

وكتاب « المحلى فى مساجلة القذح المولى » يحتوى على مختصر لتاريخ مملكة غرناطة ، وكتاب « الكتيبة الكامنة فى أهل المائة الثامنة » ، وكتاب « اللمحة البدرية فى الدولة النصرىة » وكتاب « رقم الحلل فى نظم الدول » وكتاب « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب » وكتاب « أعمال الأعلام فىمن بوىق قبل الاحتلام من ملوك الإسلام » ، وكتاب « طرفة العصر فى تاريخ دولة بنى نصر » ، وكتاب « الإكليل الزاهر فىمن فصل عند نظم التاج من الجواهر » ، وكتاب « عائد الصلة » . (١)

### من علوم العصر :

لقد كان للعلوم اللغوية والشرعية والعقلية وجود فى بلاد الأندلس خلال القرن الثامن الهجرى ، وجود لاينكر ، اشتغل بها علماء كثيرون لهم الفضل على من جاءوا بعدهم .

### علم القراءة :

نال هذا العلم أهمية بالغة واشتغل به علماء كبار انتشروا خلال القرن الثامن الهجرى وما قبله فى جميع أرجاء الأندلس ، من بين هؤلاء العلماء ، عبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السداد المالقى ت ٧٠٥ هـ ، حيث كان إماماً فى القراءات حائزاً خصل السباق إتقاءً وأداءً ومعرفةً وروايةً وتحقيقاً . (٢) شرح كتاب « التيسير » شرحاً حسناً أفاد فيه وأجاد . (٣) وكذلك عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور ت ٧٣٥ هـ ، الذى شارك فى القراءات وبرز فيها . (٤)

(١) مقدمة محقق كتاب الإحاطة للدكتور محمد عبدالله عنان ١ / ٥٤ - ٥٨ .

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣ / ٥٥٣ .

(٣) طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٤٧٧ .

(٤) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٤ / ٨٦ .

## علم التفسير :

لا يقل علم التفسير فى مكانته عن علم القراءات، فلقد حظى بمكانة عالية لارتباطه بكتاب الله عز وجل ، حيث قام بأمره والاهتمام به كوكبة من علماء المسلمين ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر العالم الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى الفهرى ت ٦٩٩ هـ . وقد أخذ من كل علم سنّى بحظ وافر، فكان حافظاً فى التفسير ، مكباً على استفادته وإفادته . (١)

## علم الفقه :

حظى علم الفقه باهتمام، واشتغل به علماء أجلاء فى شتى بلاد الأندلس ، من بينهم الشيخ الفقيه المتكلم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعد التيمى النسلى، ينقل الفقه منسوباً إلى أمانة ، ومنوطاً برجاله، جلس بمسجد غرناطة الجامع وطال قعوده يسرد الفقه (٢) وكذلك أحمد بن محمد بن أحمد بن سعدة العامرى ت ٦٩٩ هـ ، وكان صدرًا جليلاً فقيهاً مضطلعاً من أهل النظر السديد والبحث، قرأ الفقه واستظهر كتاب التلقين، ودرس الأحكام الجيدة وعرضها فى مجلس واحد، وقرأ أصول الفقه، وشرح المستصفى شرحاً حسناً ، وقرأ الإرشاد والهداية . (٣)

## علم الحديث :

نظراً لأهميته عند المفسر والفقيه فقد نال أهمية كبيرة بين العلماء، وبرز فيه علماء كثيرون منهم المؤلف القاضى محمد بن يحيى المالىقى،

---

(١) المصدر السابق /١/ ٤٦٤ .

(٢) المصدر السابق /٣/ ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) المصدر السابق /١/ ١٦٤ .

فقد كان مبرزاً في الحديث تاريخاً وإسناداً وتعديلاً وتجريحاً ، وعقد مجالس الحديث شرحاً وسماعاً على سبيل من انشراح الصدر . (١)

وكذلك الشيخ الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سعد التيمي نزيل «مالقة» كان ينقل الحديث بأسانيده ومتونه، وروى الحديث « بسبته » «ومالقة» و«غرناطة» و«بلش» ، وقد لخص التهذيب لابن بشير، وحذف أسانيد البخارى والترمذى ومسلم، والتزم إسقاط التكرار، واستدراك الصحاح الواقعة فى التهذيب على مسلم والبخارى . (٢)

### علم العربية :

ارتقى الاهتمام بهذا العلم وانتشر عدد كبير من علمائه، فمنهم أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى، من أهل «مالقة» ت ٦٩٨ هـ ، من صدور أهل العلم والتفنين مضطلع بصناعة العربية، حائز السبق فيها ، عارف بالفروع والأحكام والأدب، قائم على القراءة، إمام فى الوثيقة، حسن الخط . (٣)

وكذلك أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد من أهل « مالقة » ت ٧٠٢ هـ كان قيماً على العربية ، إذ كانت جلّ بضاعته، يشارك مع ذلك عروض الشعر وقروض الشعر، وكان له اعتناء بفك المعنى والتنقيح عن اللغوز . (٤)

وكذلك عبد الواحد بن محمد بن على الباهلى ت ٧٠٥ هـ ، كان منقطع القرين فى الدين المتين والصلاح وسكون النفس وطيب القراءات،

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١٧٦/٢ - ١٧٧ .

(٢) المصدر السابق ١٣٠/٣ ، ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق ١/ ١٨٠ .

(٤) المصدر السابق ١/ ١٩٧ .

ماهرًا في صناعة النحو، حسن التعليم ، مستمر القراءة .<sup>(١)</sup> وقد شارك القاضي محمد بن يحيى في هذا العلم فكان قائمًا على العربية مشاركًا في الأصول والفروع واللغة والعروض .<sup>(٢)</sup>

### علم التاريخ :

وقد اشتهر فيه علماء كبار أثروا المكتبة العلمية بمصنفاتهم، نذكر منهم على سبيل المثال : لسان الدين بن الخطيب وقد سبق أن ذكرنا جانبًا من مؤلفاته . وكذلك أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعده ت ٦٩٩ هـ الذي ألف تاريخ قومه وقرابته .<sup>(٣)</sup>

وكذلك المؤلف القاضي محمد بن يحيى يُعدّ من الذين شاركوا في علم التاريخ فكتب لنا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه وعمل الدراسة عنه ، فقد كان حافظًا للأنساب والأسماء ، والكنى وكان من صدور العلماء ، وأعلام الفضلاء .<sup>(٤)</sup>

### علم الحساب والهيئة :

كان لهذا العلم كغيره من العلوم وجود في عصر القاضي محمد بن يحيى المالمقى، وقد لمع فيه علماء كثيرون ، كان لهم أكبر الأثر في إثراء المكتبة الأندلسية والعلمية ، منهم : أبو على حسن بن محمد بن باصة ت ٧١٦ هـ . وكان إمامًا في علم الحساب والهيئة .<sup>(٥)</sup>

وكذلك القاضي محمد بن يحيى قد شارك في هذا العلم بنصيب واضح ، فأقرأ علم الفرائض والحساب .<sup>(٦)</sup>

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣/٥٥٣ .

(٢) المصدر السابق ٢/١٧٦ .

(٣) المصدر السابق ١/١٦٤ .

(٤) المصدر السابق ٢/١٧٦ .

(٥) المصدر السابق ١/٤٦٨ .

(٦) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/١٧٧ .

## علم الطب :

نال هذا العلم شهرة عظيمة في عصر القاضي محمد بن يحيى، وحمل لواءه عدد من الأطباء الكبار. فمنهم : أبو على حسن بن محمد بن حسن القيسى الملقب ت بعد ٧٥٢ هـ، كان بقية شيوخ الأطباء ببلده، حافظاً للمسائل الطبية ذاكرةً للدواء، فسيح التجربة، وحاول عمل الترياق الفارق، مبرزاً في اختيار أجزائه، وإحكام تركيبه .<sup>(١)</sup>

وكذلك محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشى الملقب ٧٥٧ هـ ارتسم «بالعدوة» طبيباً وتولى النظر على المارستان بفاس .<sup>(٢)</sup>

وكذلك عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسى ت ٧٣٥ هـ فقد كان صدرراً في علماء بلده، أستاذاً من أهل النظر والاجتهاد والتحقيق ، ثاقب الذهن، برز في الطب والمنطق وغير ذلك .<sup>(٣)</sup>

وكذلك أبو تمام غالب بن على بن محمد اللخمي ت ٧٤١ هـ، وكان من أهل الفضل، قرأ الطب بالمارستان من القاهرة المعزية، وحذق العلاج على طريقة المشاركة .<sup>(٤)</sup>

## الموسوعة في العلم :

كثير من العلماء خلال القرن الثامن الهجري العصر الذي عاش فيه القاضي محمد بن يحيى لم يكتفوا بعلم واحد أو اثنين ، بل حازوا شرفاً كثيراً من العلوم والفنون ، مثل : ابن جزى أحمد بن محمد بن

(١) المصدر السابق ١/ ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥١٥ .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٨٦ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٤٠ .

أحمد بن جزى الكلبي ت ٧١٥ هـ ، كان له مشاركة حسنة فى فنون متنوعة من فقه وعربية وأدب، وحفظ وشعر تسمو ببعض الإجابة إلى غاية بعيدة . (١)

وكذلك أحمد بن محمد بن أحمد بن سعدة العامرى ت ٦٩٩ هـ ، كان مشاركاً فى كثير من الفنون ، جزلاً مهماً ريان من العربية، وقرأ الفقه وأصوله، وكان صدرًا فى الفرائض والحساب، وألف فى التاريخ كتاباً عن تاريخ قومه (٢) .

وكذلك أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى الجزلى ت ٧٦٥ هـ، كان من صدور أهل العلم والتفنن مضطلع بصناعة العربية، عارفاً بالفروع والأحكام، والطب والأدب ، قائم على العربية والقراءة ، حسن الحظ . (٣)

وكذلك أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان الملقى ت ٧٦٣ هـ، بقية الأعلام أديب من الأدياء ، ناظم نائر عارف ثاقب الذهن، إمام الفرائض والحساب، والأدب والتوثيق، ذاكر للتاريخ واللغة، شارك فى الفلسفة والتصوف ، كلف بالعلوم الإلهية . (٤)

وكذلك الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى ت ٦٩٩ هـ. كان متفناً فى عدة معارف، أخذ من كل علم سنّى بحظٍ وافر، حافظاً للحديث والتفسير، ذاكرًا للأدب واللغة والتواريخ، شديد العناية بالعلم، حسن اللقاء لطلبة العلم . (٥) ويعدّ القاضى محمد بن

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١٥٧/١ ، ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ١ / ١٦٤ .

(٣) المصدر السابق ١ / ١٨٠ .

(٤) المصدر السابق ١ / ٢٢٢ .

(٥) المصدر السابق ١ / ٤٦٤ .

يحيى المالقي صاحب هذه الدراسة من الموسوعيين أيضاً فقد كان من صدور العلماء عارفاً بالأحكام والقراءات عارفاً بالحديث تاريخاً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً ، حافظاً للأنساب والكنى، قائماً على العربية، مشاركاً في الأصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب . (١)

---

(١) المصدر السابق ١٧٦/٢ .